النشاط الاجتماعى للدولة

(١) التضامن الاجتماعى .

(٢) مشروعات المستقبل لمواجهة البطالة .

(٣) حركة التعاون .

---

(١)

خطب رفعة رئيس الحكومة فى الاسكندرية فى أواخر شهر أكتوبر فجاءت فى خطاب رفعته هذه الفقرات :

" إننا منصرفون بأفكارنا وعقولنا إلى الإنشاء والتعمير، ومواجهة ماستخلفه لنا الحرب من مشاكل ومسائل معقدة . منصرفون إلى أن تكون الديموقراطية قولا وعملا متأصلة فى كل نفس ، متغلغلة فى كل قلب ، يحسها الغنى من تلقاء نفسه فلا يطغى ، ويراها الفقير فيطمئن ويهدأ ، متجهون إلى خلق نظام تشعر فيه البلاد بالمساواة قدر المستطاع ، وتدرك الطبقات المختلفة أن التباعد بينها ليس كثيرا ، والحياة فيها ليست بشاقة المشقة كلها على أناس بينما هى رخية الرخاء كله على آخرين ، فلا يصل واحد إلى الانتحام والى جانبه من يتضور جوعا ، ولا يحيا إنسان حياة الترف وغيره يقاسى بؤس الحياة ألوانا ، بل ينبغى لمصر أن تحيا حياة متناسقة متعاونة يشد بعضها بعضا ، فترى كل طائفة من طوائفها تأخذ حقها وتعطى ماعليها ، فلا طمع لقوى فى ضعيف ، ولا غنى فى فقير ، ولا لمستغن فى محتاج ، بل يدرك الكل واجبه ، ويقف عند حده ، ويعيش عيشة الهدوء والاستقرار . هنالك تساير مصر التطور المنتظر وتخرج مما يواجهها من مشاكل الحرب سليمة قادرة على النهوض بحاجات الزمن ومقتضيات الأحوال . وعندئذ نرى شعبا انتشرت فيه العلوم ونمت الصناعات ، وعم الإنتاج ، وتبادل مع شعوب الشرق والغرب مختلف المصالح ، ووقف إلى جانبها مساهما فى إنشاء جيل خير مما نحن فيه الآن ، وعادت مصر سيرتها الأولى مهدا للحضارة والتقدم والعرفان " .

وهذه الفقرات تعد وثيقة عظيمة فيها وصف دقيق لبعض مظاهر الحياة الاجتماعية من ناحية ، ووعد بالعمل على تغيير هذا الوضع من ناحية أخرى ، وتصوير للنتيجة المنتظرة من هذا التغيير من ناحية ثالثة ، وآمال عظيمة فى المستقبل من ناحية رابعة .

وقد كانت البلاد فى حاجة ماسة إلى هذه الوثيقة بدلالاتها الأربع ، فإن فريقا من المصريين فى حاجة لأن يحسوا ما فى الواقع من نقص يجب إكماله حتى يتحقق لمصر نوع

من التوازن الاجتماعى بين جميع الطبقات ، وقد جاءهم بيان هـذا الواقع من أكبر رجل مسئول فى الدولة وهو رفعة رئيس الحكومة ورئيس الوفد صاحب الأغلبية الشعبية والبرلمانية فهم خليقون أن يحسوا مافى هذا البيان إذن من الصدق والقوة والعزم على تنفيذ ما جاء فيه من وعود .

وهذه الكلمات الواضحة كفيلة بعد هذا بأن تزيد فى ثقة الشعب بمستقبله الذى سيرتكن على أساس التضامن الاجتماعى بين القادرين والمحتاجين " فتدرك الطبقات المختلفة أن التباعد بينها ليس كثيرا وأن الحياة فيها ليست بشاقة المشقة كلها على أناس بينما هى رخية الرخاء كله على آخرين .

وللبلاد بجميع طبقاتها أن تطمئن إلى هذه الوعود التى سجلها رفعة رئيس الحكومة ، وأن ترتقب الإجراءات العملية لتنفيذها وجعلها حقيقة واقعة . فإن الظروف جميعها تحتم هذه الاجراءات ، والاتجاه العالمى كله يملى على مصر السياسة الواجبة الاتباع . فالتضامن الاجتماعى هو سمة العالم المنتظر بعد الحرب . وقد أخذت الشعوب الكبرى فى وضع المشروعات الملائمة لذلك ، وأشهر هذه المشروعات مشروع بيفردج للتأمين الاجتماعى . ذلك المشروع الذى وجد من يعارضه منذ الآن بحجة أنه لا يفى بتطورات المستقبل ! ، وسنرى ما يتجه اليه العالم الجديد .

(٢)

وفى أول هذه الفقرات التى اخترناها من خطبة رفعة رئيس الحكومة قوله : " إننا منصرفون بأفكارنا وعقولنا إلى الإنشاء والتعمير ومواجهة ما ستخلفه لنا الحرب من مشاكل ومسائل معقدة " .

وفى هذه الكلمات ما يدل على اليقظة المحمودة لما سيواجه البلاد من مشاكل حين تضع الحرب أوزارها ، ووراءها بالفعل اقتراحات تبحث ومشروعات تعد لمواجهة هذه المشاكل . وفى مقدمتها مشكلة البطالة ، فإن هناك نحو ثمانمائة ألف عامل وعدد كبير من الشبان المتعلمين يشتغلون الآن فى المعسكرات وغيرها من مستلزمات جيوش الحليفة وهؤلاء ، سيستغنى عن خدماتهم إذا انتهت الحرب ، كما أن هناك حوالى مائتى ألف عامل يشتغلون فى صناعات نشأت تحت ضغط الضرورة وانقطاع الواردات أو فى صناعات اتسع نطاقها بسبب هذه الظروف الطارئة ، ويخشى أن تختفى هذه الصناعات أو تنكمش حين تزول هذه الظروف فتخلف وراءها عدداً من العمال المتعطلين .

فإذا نظرنا الى هذه الحقائق و إلى الحقيقة المعروفة وهى أن العامل المصرى لا يعرف كيف يدخر فى أيام الرخاء لأيام الشدة اتضح لنا أنه من الضرورى التفكير منذ الآن فى ايجاد عمل لهؤلاء الذين سيتعطلون وغيرهم من سكان القرى الذين تضيق بهم الزراعة شيئا فشيئا فيرحلون الى المدن طلبا للكسب من الصناعة .

ورفعة رئيس الحكومة يقول : " إننا منصرفون الى الإنشاء والتعمير " وفى هذا حل للمشكلة من أيسر سبيل ، فالإنشاء والتعمير فوق أنه ضرورى لتقدم عمران البلاد واقتصادها فيه حل لمشكلة البطالة المنتظرة لأنه يستغرق العدد الوفير من الأيدى العاملة .

ونضرب مثلا لذلك بمشروع إنشاء عدد من الطرق وهو أحد المشروعات العمرانية التى يمكن أن تتجه اليها النيـة ، فهو مشروع ضرورى لتحسين حالة المواصلات فى البلاد وربط أجزائها الداخلية ربطا محكما يساعد على الأمن كما يساعد على تجميل البلاد وتيسير السفر فى قلب الريف بالسيارات الأمر الذى يوده كثير من السائحين والمصيفين على السواء .

فمشروع كهذا مضمون الفائدة من الوجهة العمرانية ، وهو كذلك حل سعيد موفق لطرف من أطراف مشكلة البطالة المنتظرة . وقد سبقتنا أمريكا الى مثل هذه المشروعات قبل الحرب حينما بلغت البطالة فيها حدا مخيفا ، فاقترح الرئيس روزفلت " مشروع الإنشاء والتعمير " على هـذا النسق فى نطاق واسع ، وكان له بالفعل أثره الطيب فى تحسين حالة البطالة بالولايات المتحدة .

وليس مشروع الطرق إلا مثلا لما يمكن أن تتجه اليه النية لمواجهة مشاكل ما بعد الحرب . وهناك غيره من المشروعات العمرانيـة متروك للفحص والتفكير حتى يكون مهيئا فى وقت قريب ، فهذه الحرب حرب مفاجآت . ولا يدرى أحد ما يكنه الغيب فى المستقبل القريب .

(٣)

وبينما تيسر مشروعات المستقبل فى طريق التحضير نرى وزارة الشؤون الاجتماعية تبذل عناية ظاهرة بمشروع قائم هو " مشروع التعاون " فقد عدلت قانون التعاون بما يزيد امتياز الجمعيات التعاونية ويحفظ أموالها ، ثم أخذ معالى وزير الشؤون يعقـد المؤتمرات العـامة للتعاون فعقد حتى الآن مؤتمرين أحدهما فى عاصمة الدقهلية والثانى فى عاصمة الغربية لشرح مزايا التعاون والحث على تنميته والتبشير بأنه سيصبح أساس الحياة الشعبية فى المستقبل .

وهذا النشاط التعاونى يجىء فى إبانه ، فان جميع الظروف الحاضرة تهيىء لنجاح الدعوة ، وفى مقدمتها حالة الغلاء الفاحش وصعوبة الحصول على ضروريات الحيـاة ، مما يجعل فائدة التعاون واضحة ملموسة فى حياة الأفراد والعائلات .

وهى فرصة تنتهز لتثبيت أسس الحركة التعاونية ، فقد كان مما يلاحظ بالأسف بطء نمو هذه الحركة فى الأعوام السابقة وضيق دائرتها ، حين لم تكن الحاجة ماسة إلى الاشتراك فى جمعيات التعاون للحصول على ضروريات الحياة . فاذا انتهزنا هذه الفرصـة لتثبيت أسس الحركة التعاونية فذلك خليق بأن يضمن لها اطراد النمو فى المستقبل بعد أن تزول هذه الظروف الاستثنائية .

ونحن فى حاجة للتبشير بالتعاون فى بلاد كمصر تنتشر فيها الأمية كما تنتشر الروح الفردية ، فليس التعاون عملا اقتصاديا فحسب ، ولكنه كذلك تربية لشعور الجماعة وتمكين لأسس الاجتماع فى آن .

ولقد كان التعاون هو العصا السحرية فى بلاد كالدانمرك ، إذ أحالت هذه البلاد جنة فى مدى نصف قرن من الزمان ، وأصبح الآن هـو عصب الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى تلك البلاد من أقصاها إلى أقصاها .

فالجمعية التعاونية هى التى تتولى عن الأفراد جميع العمليات التجارية والصناعية الخاصة بالحبوب والحيوان وضروريات الحياة الأخرى ، وهى التى تتولى عنه التصدير والاستيراد وما بينهما من عمليات معقدة لم يكن الأفراد ليتقنوها لولا جمعيات التعاون .

والدنمارك بلاد زراعية مثلنا ومساحة أرضها المنزرعة ربع مساحة أرضنا ولكنها كانت قبل الحرب تنتج وتصدر ما يزيد على صادراتنا النباتية والحيوانية ، وذلك بفضل حركة التعاون المتغلغلة فى كل ركن فى البلاد .

ولنا أمل وطيد فى أن نسير فى الطريق التى سارت فيها الدانمرك وبخاصة أن المستقبل سيحتم علينا التجديد فى وسائل الزراعة ، أى استخدام الآلات ، التى تعجز غالبية الزراع عندنا عن استخدامها بسبب ضآلة الملكية والعجز عن شراء هذه الآلات . وفى هذه الحالة يتقدم التعاون ليحمل العبء ، إذ تستطيع الجمعيات مالا يستطيعه الأفراد فى هذا المجال .